كرم

للكاتب الشاعر القصصي "بول بوجيه"

بقلم السيد كمال الحريري

المكان « باريس » والوقت عصر يوم من أوائل الربيع الباسم الطلق ، وزمر الغادين والرائحين تملأ شارع « ريفول » : وهو الشارع الذى ينتصب فى ساحته تمثال القديسة « جان دارك » وكان موج دافق متراكب من السيارات والعربات والدراجات لا يفتأ يتجدد ويتعالى دويه وهديره فيصم الآذان حتى لقد كان يعجز أمهر رجال الخفية والشرط عن تعقب أحد من الناس خلال هذه الزحمة الصاخبة العاجة من الناس والآلات

لهذا وحده اختار « جول به ليه » هذه الساحة والساعة موعداً للقاء حبيبته « إديل » . فكان هناك خلف دكان حلوانى يتظاهر بمراقبة قطع الحلوى بينما هو فى الحقيقة متجه النظر لزجاج الدكان يرقب من خلاله ظلال الوجوه وهى تتعاكس وتتحرك على صفحته . كان فى الخامسة والثلاثين دقيق معارف الوجه ، واسع إنسان العين ، مكفهر السحنة : تكشف شفتاه الرقيقتان اللتان يظلهما شارب أشقر ، عن أسنان بيضاء لامعة عجيبة ، وتنم هيئته وملبسه عن حياة غنى وبطالة ، ولكن صورة من الغموض والابهام ، كانت تنطبع على تقاطيع وجهه . ويشاهد الفتى من خلال الزجاج فتاة كانت ولا شك هى التى ينتظرها ، فترف ابتسامة غامضة على زاوية فمه . حتى إذا اقتربت الصبية منه ، أجال فى الشارع عينين حادتين نفاذتين أخذتا تنفضان جموع الناس ، وقد انطبع عليهما بريق من القلق والخوف لا يبررهما موقفه كعاشق قد يحتسب الرقباء والفضوليين.

كان أول ما لقى الفتاة المتأخرة بهذه الكلمة التى أودعها كل تخوفه ورعبه :

— لقد مضى علىّ عشرون دقيقة وأنا أنتظرك « يا أديل » ورجال الخفية ألا تحسبين لهم حسابا؟

ثم مشى العاشقان جنباً إلى جنب ، فقالت الفتاة فى انفعال :

— لا أستطيع أن أعمل وصيفة كما أمرتنى ، لأن سيدتي تكاد تشك فىّ ...ثم ... إذا كنت تظن أنى ما أزال خاضعة لك إنك إذاً لمغرور ... إنها المرة التاسعة التى أنقاد لك فيها ، ولكن هذا حسبي ... أفهمت ؟ حسبي هذا . قالت اديل هذا بغيظ وهياج ، حتى إن صوتها الصاخب وحركاتها العصبية أدخلت الرعب فى قلب اللص فقال :

— حتى أنت يافتاتى ونعيم قلبى ؟ ! قال ذلك فى تدليل وتحبب وقد رق صوته وانبسطت أسارير وجهه ، فاكتسب ذلك محياه وهيئته شيئاً من الجمال الذى خضعت لسلطانه « إديل »

لقد كانت تقاسيم وجه الفتاة الدقيقة الجميلة ، وطراز هندامها وزينتها تناقض كل المناقضة دور الشريكة الآثمة الذى كانت تقوم به مع هذا اللص العاشق ... ثم تندم الفتاة على الرفض الذى جهرت به أمام عشيقها منذ لحظة ، خصوصاً حين أبصرت انقلاب جفائه إلى رقة وإيناس ، فقال :

— نعم لقد عراني منذ لحظة غضب طارئ ،

ولكني أحبك على كل حال . وسبب هذا الكلام الذى بدر منى إليك إنما هو الخوف من أن يقبض علينا رجال الشرطة ، ألا تعلمين أن ذلك كان لأجلك ؟ أترينى نسيت عزمنا على مغادرة هذا البلد بمجرد أن نستطيع ذلك؟ ألا تذكرين ماقصصته عليك من قبل عن آلامي وأشجانى ؟ ألا تحسين ما أنا فيه الآن من الضيق والسجن فى هذه الحياة المتشردة البغيضة؟! لقد كانت عنيفة جارحة ، تلك الكلمات التى جبهتنى بها منذ قليل . فقولى لى إنك نادمة عليها ، قولى ... وحين رأى اللص صمت الفتاة الطويل راح يلتمس يدها برفق ، ثم جذبها إلى صدره بضغطة لطيفة لذيذة أراد منها شل ارادة الفتاة وإلهاءها عن ثورتها عليه . وتلك حاسة سادسة يمتلكها بعض الرجال الذين يعرفون كيف يتحببون إلى قلوب النساء . ولقد كان هذا اللص العاشق يعلم بوحي هذه الحاسة أن هذه الفتاة البائسة إنما هى له بجملتها مهما ثر

لقد كانت تعبده هذه الفتاة ، فكان يستغل فيها هذا الوله لتحقيق أغراضه وتنفيذ جرائمه ، منذ اليوم الذى هجرت فيه عش الأمومة حتى هذا اليوم .

فى « إديل » كل معانى الصبا الذى ينم عليه وجهها البديع ومعارفها الوسيمة . لقد كانت بنتاً وحيدة لعائلة شريفة متوسطة الحال . مات والدها فى حومة القتال وهو يحمل رتبة ملازم ثان ، فاضطرت الصبية عقب وفاته إلى الاقتران بـ « مسيو بارون » وهو تاجر أقمشة شرس فظ ، لم ترزق منه ولدا لحسن الحظ . وحين اتصلت حبالها بهذا الشاب «جول مليه» لم تكن تعرف عنه أكثر من أنه موظف فى أحد المصارف ، ولقد لفق لها الشاب حكاية لحياته جازت على عقل المسكينة فآمنت به ثم ... ثم أصبحت له خليلة بعد فترة من الزمن . وتبلغ حكاية اتصالها بهذا الشاب إلى مسامع زوجها (وكان المبلغ له هو نفس عاشقها) فيطردها التاجر من منزله . وبعد أيام ثمانية ينهى إليها «جول» عاشقها بأنه ارتكب خطيئة فى وظيفته طرد بسببها من مركزه . وعلى هذا فقد أدركت الفتاة أنها حيلة منه ، وأنه يريد إشراكها معه فى سلسلة من الجرائم والسرقات لا تتصل حلقاتها إلا بشريكة مثلها من الجنس اللطيف . ومن أصلح لهذا منها ؟! ولسوف يدرك القارئ طبيعة هذه الشركة ومرماها حين يعلم أن هذه المؤامرة التى دار الحديث حول تنفيذها بين العاشقين كما يأتى : لقد استخدمت إديل عند سيدة أمريكية اسمها « مس إديث » بوظيفة وصيفة ، وكان ذلك بشهادة كاذبة تحت اسم مستعار مزور . وإذن فلم تكن غاية هذا الموعد الذى ضربه لها العاشق اللص في شارع ريفول إلا الاستعلام منها عن موضع صندوق الجواهر التى اعتزم تلك الليلة على اختطافها من سيدتها الأميركية. ولقد مرّت على شفة الشاب بسمة الفوز حين بدأت إديل تتكلم وتقول :

— لو لم تكن ياجول سيّ الاعتقاد باخلاصى وحبى لما شككت بكلماتى الموجهة إليك منذ هنيهة، إنك لتتسخط على حياة الاجرام والتشرد التى تحياها ولكن من يمنعنا من مبارحة هذا البلد منذ الغد ؟ أبداً لن يعلم أحد بحقيقة حالنا . ثم إنك ستعيش من العمل الحلال ، وسأشتغل أنا معك أيضاً . وقاطعها اللص :

— إن هذا مستحيل في هذا الظرف على الأقل وأنت تفهمين جيداً وجه استحالته

— ولكن متى يكون ارتحالنا ؟

— حين نجمع لنا ثروة كافية ، وفى هذه الليلة سيكون ذلك إن نجحت إغارتنا على جواهر سيدتك. وبهذه المناسبة هل جربت على علبة الجواهر المفاتيح التى صنعناها ؟ وتجيب الفتاة :

— نعم لقد جربتها ياجول فنجحت كل النجاح

— وهل أنت مطمئنة إلى أن العقد الثمين اللؤلؤي موجود فى العلبة وأن سيدتك لن تتقلده هذا المساء ؟

— بالطبع لأنها ستتغدى في « نوى » عند مدرستها القديمة وستعودنى معها وعندى أن الوقت الملائم لدخول الفندق هو الثامنة مساء أو الثامنة والربع . قال اللص العاشق :

— لقد فهمت ، سأكون فى الثامنة عند باب فندق « بيوزيل » الذى يشرف على شارع « سانت هونوره » ولئن سألنى سائل عن وجهتي لأقولن له إلى مدام « زيرلى » فقد بلغنى أنها تقطن شارع يتفرع عن شارع « ريفول » . لسوف أمر بأول ممر من الفندق عن يمينى ، ثم أصعد درجتين ، ثم أصل إلى الغرفة التى رقمها ٦٧ ، ستكون مفتوحة بالطبع ، وسألقى أمامها دهليزاً ثم ردهة صغيرة . إن علبة الجواهر فى خزانة غرفة النوم ، وقد وضعت أنت المفتاح تحت سجادة السرير ، أليس ما أقوله صحيحاً بالضبط ؟ قالت الفتاة :

— تماماً تماماً ، ثم أردفت بارتعاش :

— ولكن عدنى أنك إذا لقيت أحداً من عاملات الفندق ستبارح الفندق بعذر تنتحله ! ثم قالت « إديل » فى همس :

— لست أطيق أن أكون مساعدة لك فى جريمة قتل ، إن ذلك هائل . إن ذلك ما لا أطيق .

قال « جول بليه » :

— ثقى أن ذلك لن يحدث أبداً ، لأن كل شىء سيجرى فى سكون وخفاء كما هى عادتنا فى السرقة ، وهبى أنى فوجئت بما لم يكن بالحسبان ، إنى سأدافع عن نفسى ، وسأختار أن يفصل رأسي على أن أذكر اسمك بسوء أو وشاية ، إلا إذا كنت أنت تذكرين اسمى فى مثل هذه الظروف . أجيبي أتذكرين اسمى ؟

— أبداً مطلقاً . قالتها وهى ترمقه بنظرة فيها الاخلاص والعتب ، فسرى عن نفس الشاب لهذا الاحتجاج الذي عبر عنه صوتها ومنظرها ، وحين أدرك اللص أن هذه المحاورة قد يكون من أثرها إن هى طالت أن تنبه مخاوف شريكته ثانية ، فقد قال ،

— ستكون هذه آخر محاولة نحاولها ، فتشجعى يا حبيبتى وهاتى لى لثمة من شفتك الحلوة . قال هذا ثم قادها إلى جهة كنيسة « سانت روش » فى زقاق ضيق خال من المارة . هناك جذبها إلى صدره وضمها بين ذراعيه ضمة عنيفة حارة ... ثم ... ثم تلاقت الشفاه ... وشعرت الصبية وهى تجوز شارع « هونوريه » عقب هذه الثواني اللذيذة من الضم والعناق ، بدبيب هذا الحب الطاغى يجرى فى عروقها فيجعل منها دائماً آلة صماء في يد هذا العاشق اللص الجميل

* * *

لم تكد « إديل » تدخل فندق « بيوزيل »

وتضع قبعتها عن رأسها حتى رن فى مسمعها جرس غرفة سيدتها ، يدعوها فرددت فى انزعاج وهى تتوجه لغرفة سيدتها :

— الساعة الآن السادسة إلا ربعاً ، وسيدتى من عادتها لبس ثيابها فى السادسة والنصف ، أترى بدا لها فى الذهاب فغيرت رأيها ؟ ! أعنى يارب ...

كانت «مس إديث» مستلقية على كرسى طويل فى غرفة الفندق وكان كل مايحيط بالسيدة من متاع وأثاث يحمل طابع اللطف والرقة والكرم : هى امرأة فى الخمسين من عمرها شقراء تضرب شقرتها إلى حمرة داكنة ذات عينين سمراوين ملتمعتين ، ووجه لطيف التكوين يصطبغ بصبغة زهرة حائلة ذاوية . ولسبب يعود إلى مزاجها الصريح وطبعها البرئ من التكلف والرذيلة ، كانت « مس إديث » تحب أن تطبع كل من يحيط بها من الخدم والوصائف على غرارها فى العوائد والمسلك . فكان يكفيها من وصيفاتها الطيبة والاستقامة كي يتقربن إلى قلبها وينزلن من نفسها منزلة الأبناء . انجذب قلب « مس إديث » لوصيفتها « اديل » منذ غياب وصيفتها القديمة الألمانية تلك التى انطلقت إلى أهلها عقب برقية مستعجلة تلقتها من أمها المريضة . وكى تترك السيدة « إديث » لوصيفتها الألمانية فرصة سانحة للاعتناء بأمها قررت الاستعاضة عنها بغيرها خلال هذه المدة ، فشاءت الصدفة أن تكون بديلتها فتاتنا « اديل » تحت اسم مستعار مزور بشهادة ملفقة . وكان أول ما بدرت به السيدة « إديل » أن قالت لها :

— إن لى ثقة كبرى بالانجذاب أو النفور اللذين تحدثهما لى رؤيتى الشخص أول مرة ، وعن هذا الانجذاب أوالنفور أصدر فى معاملتى لوصيفاتى « ياإديل » . لم يكد يمضى على اديل ثلاثة أشهر عند « مس اديث » حتى عزمت هذه الأخيرة حين نزلت من نفسها الوصيفة منزلاً حسناً ، أن تعرض عليها السفر معها إلى أمريكا مع سلفتها الألمانية . ولكن شيئاً واحداً كان يؤلم قلب هذه المرأة الطيبة ، فى كل مرة كانت تلقى اديل الزائفة : كيف تطلب منها أن تكون لها وصيفة فى الدرجة الثانية بعد تلك الألمانية الغائبة ؟ أى وسيلة ستتخذها كيلا تؤلم نفسها وتجرح شعورها ، بينما رسائل تلك تترى إليها بالقدوم ؟ إنها لتعلم من حب « اديل » لها وتفانيها فى خدمتها مالا تستجيز لنفسها معه أن تفاتحها بهذا الموضوع . على أن « مس اديث » لم تكن مخدوعة ، فان « اديل » كانت تبادلها حباً بحب واخلاصاً باخلاص . ولم يكن هذا التمرد والتردد اللذان أبدتهما « اديل » لعاشقها إلا أثراً لما يعتلج فى جوانحها ويثور فى قرارة ضميرها من الندم على ما هى مقدمة عليه من خيانة سيدتها المحسنة الطيبة الكريمة . وقبيل أن يرن الجرس لاستدعائها خطر لها أنه يمكنها أن تنبه سيدتها إلى ما قد تتعرض له من الخطر هذه الليلة . لكن رنين الجرس سمعها وأزعجها ، أيكون مشروعها الأثيم قد أحبط واتصل خبره بسيدتها ، وهى الآن تريد من استدعائها أن تقبض عليها وتسلمها ليد العدالة ؟! كل ذلك جال بخاطر الشريكة المسكينة ، وهى تسرع الخطا إلى غرفة سيدتها التى بادرتها بهذه الكلمة :

— إنى لن أبرح الفندق هذه الليلة يا «اديل» لأن مدام «رنود» (وهى المدرسة التى قضت عندها

مس أديث عامين من حياتها) أبرقت إلىّ تعلمنى بمرضها، وأنا نفسى أحس بشئ من الوعكة والضعف

لم تجب « ادیل » على كلام سيدتها الاميركية ، لأن مشهداً هائلاً كان يتمثل فى خيالها تلك اللحظة لقد فتح الباب الذى يواجه باب غرفة سيدتها وبرز منه خليلها « جول بيه » وهو يعتقد أن غرفة سيدتها فارغة كما هو متفق. وإذن فإن «مس أديث» ستسمع الضجة، وسترى كل شيء وحينئذ؟ وحينئذ إما أن تساعد « ادیل » الفرصة فتنبه سيدتها لخطر حبيبها فتكون قد قضت عليه، أو أنه سيفوز فيقتل سيدتها الكريمة . فى ظرف ساعتين ، سيكون هذا المشهد حقيقة راهنة . وهنا ترتجف أوصالها وتشعر بقلبها يميد ، وتشاهد الاميركية اصفرارها وارتجافها واضطرابها ، فتقول فى قلق

— ولكن ما بك يا « ادیل » أتراك مريضة ؟

ثم تنهض من كرسيها الطويل وتتجه إلى وصيفتها ولكن هذه توقفها باشارة من يدها وتقول

— لا شيء يا سيدتى إنه دوار بسيط يعرض لى دائماً وقد انصرف عنى الآن

— ولكنى أشاهد حالاً غريبة تأخذك منذ أيام ! أيكون أحد قد ساءك أو آذاك ؟ أتكون خدمتى لا تعجبك وترهقك ؟ قالت هذا بصوت تسيل نبراته حناناً وتحبباً ، ثم أردفت تقول :

— لئن كان هذا ، فإنى جد آسفة على ما فرط وخصوصاً أنى من السرور بك والارتياح لخدمتك وإخلاصك ، بحيث يقوم بنفسى أن أعرض عليك أمراً : لقد قلت لى سابقاً إن ذويك، ليس لهم أحد غيرك وغير شقيقتك، أفتعتقدين أنهم يرضون بذهابك معى إلى أمريكا ؟

— إلى أمريكا ؟ ! (رددتها شريكة اللص فى دهشة) تريد سيدتى ...

— أن آخذك معى إلى أمريكا . ثم تابعت « مس أديث » كلامها فقالت

— غير أن هناك مشقة احتمالها يسير عليك ، وهي التى أتردد منذ طويل فى الإفضاء بها إليك . فقولى لى الآن فى صراحة وجلاء ، ألست واثقة من حبى لك وإيثارى مصلحتك وخيرك ؟

— أواه يا سيدتى ، وهل أشك فى ذلك وأنت من أعطف الناس علىّ وأحسنهم معاملة وألينهم كلمة؟!

— إنك لتستأهلين منى هذا وأكثر ، وإلا فماذا كان يحدث لى لو أنك كنت بعيدة عنى هذه الشهور؟! ثم عرا الاميركية شيء من الحيرة والحياء، فاستأنفت تقول :

— وأظنك تدركين أنه لا يمكن العيش سنين عدة مع وصيفة أمينة كوصيفتى السابقة ، دون أن يتعلق القلب بها ، كما أظنك تقرينى على أنى لن أستطيع التخلى عنها ولا سيما أن رسائلها تنبئ من يوم لآخر بمجيئها ... نعم إنها هرمة محطمة تحتاج هى نفسها إلى وصيفة تعينها ... وسيكون شديداً علىك أن تكون هي الأولى وتكونى أنت الثانية ... ولكن إذا سلمت إليك رأس كل شهر نفس الراتب المعتاد ، ووعدتك بأنك ستخلفين يوماً هذه العجوز فى خدمتى ، أتراك ترضين بهذا ؟

لقد كان فى هذا النوع من التوسل الذى تبديه هذه المرأة الثرية النبيلة أمام خادمتها كرم ونبل يثيران القلب ويستفزان الإعجاب والاكبار . نعم إنها كلمة طيبة لا غير. ولكنها على ذلك تكشف عن كنز غنى من حساسية دقيقة وشعور إنسانى رهيف وهنا شعرت ادیل رغم موت ضميرها بمرض

الجريمة والانحطاط — بهزة من الندم طالما أحست بها، إذ هي تدور من قطب هذه المرأة الصالحة الطيبة حول محور من لطف وكرم وحساسية . ولكن هذه الهزة تستحيل الآن وهي تسمع كلماتها الطيبة إلى زلزلة هائلة من الندم ووخز الضمير : زلزلت أعشار قلبها وحنايا نفسها فمادت أي ميدان . وتنظر الفتاة حائرة إلى هذه المرأة الضعيفة الطيبة الحنون التي اعتزمت هي أن تضحي بها بعد دقائق على مذبح خيانتها وحبها الآثم ، فتفيض عيناها من الدمع وتروح تغمغم :

— إنك يا سيدتي رمز الطيبة وعنوان الكرم؛ وإن لساني لا يقوم بشكرك على عنايتك بي وسهرك عليّ . ليس شيء في الدنيا أحب إليّ من خدمتك فكيف تظنين أني سأستاء إن قدّمت عليّ وصيفتك السابقة ؟ سواء لدي أكنت الأولى أم الثانية في خدمتك . حسبي أن أكون بجانبك ، ولا يهمني شيء بعد ذلك ، ولكن ... وتقاطعها الأميركية :

— ولكن ينبغي لك ألا تعقدي أمراً دون استشارة أهلك . وعلى ذكر أهلك أقول إن اليوم عيد ميلاد أمك القديسة « أميل » وتذكرت « إديل » في جهد أن ذلك الاسم الخيالي الذي لفّقته « لمس إديث » حين استخدمت عندها إنما كان من ابتكار خيالها وكذبها. أما « مس إديث » فقد مضت في حديثها تقول بلهجة حنون وابتسامة عطوف :

— لماذا لم تنبئيني بهذا ؟ إذن لكنت سمحت لك بقضاء يومين بجانب أمك ، ومع هذا فلا تأسي ولا تأسفي ، فما زال لديك وقت متسع إن سافرت من الآن ، فليست « كرونل » بعيدة عن هنا كثيراً، ثم إني لست بحاجة إليك حتى الحادية عشرة غداً . إنما قولي لي هل أنت مغتبطة سعيدة ؟ قالت الوصيفة في خفوت لم يبلغ مسمع سيدتها إلا بجهد :

— أواه يا سيدتي ، إني جد مغتبطة ... ثم ولّت من الغرفة تكفكف دمعة حارة انحدرت على خدها

وقالت : « مس اديت » لنفسها بعد إذ غادرتها وصيفتها

— كم هن طيبات القلب بنات الشعب ؟ ! أنا واثقة بأن حزنها كان سببه حرمانها من ذكرى عيد والدتها

* * *

ومضت ساعتان على ذلك ، وكادت تدق الساعة الثامنة و « أديل » ما برحت محتبسة في غرفتها ملتزمة كرسيها الذي انحطت عليه عقيب خروجها من غرفة سيدتها ... وفي غمرة من اضطراب نفسها وتبكيت ضميرها وتناقض عواطفها وشعورها راح يعتادها من جديد شعور الاعتراف بجميل سيدتها وكريم عطفها أقوى مما كان يعتادها من قبل . حتى لقد كان واجبه عندها في تلك اللحظة يفضل حياتها وحياة حبيبها ومباهجها معه .. وتكاد تأزف الساعة الرهيبة المخجلة : ساعة قدوم حبيبها اللص ، فتنتابها لذلك حمى الخوف من الافتضاح بالاضافة إلى شعور الندم والتبكيت ، ترى ما ذا تصنع ؟ في أي مكان هو « جول بليه » الآن ؟ أتنتظره على رصيف

كلة : لا ، لا ، ثم ألقت بهذا التصميم وجه الحائط ومضت لحظة فاذا بها تقول فى خفوت : ولكن ! إذا ! واستيقظ فيها من جديد قلب المرأة الشريفة « البورجوازية » فاذا بضميرها يبكتها من جديد ، وإذا بها تزفر وتقول : كم سيكون ذلك فظيعاً شنيعاً إن أنا لزمت جانب الصمت . ثم تقول بصوت مطمئن واضح :

— إن ما سأعمله هو جدُّ صائب وشريف ... وقامت لساعتها خافقة الجوانح مرتعدة مضطربة تقتحم غرفة سيدتها في سرعة كي لا تترك لنفسها وقتاً للتفكير وموازنة الآراء ... بهذا العزم والصورة نقرت على باب سيدتها . يا لله ! كم هو رائق حلو ذلك الصوت الذى انبعث إلى أذنيها من الغرفة قائلاً : أدخلى !

كانت مس « إديث » ما تزال مستلقية على كرسيها وبجانبها بقية من طعام كانت تتناوله . فحين رأت وصيفتها بهذا القلق والارتباك قالت لها بدهشة :

— أو قد عدت ثانية يا « إديل » ولكن ماذا حدث ؟

— حدث أنى خدعتك وغررت بك ياسيدتى وإنى لست إلا وصيفة زائفة هى خليلة لص فاجر مجرم سينتهك حرمة منزلك بعد قليل . حدث أنى شريكته قد زورت مفتاحاً لاستلاب ما تحتوى علبة جواهرك ، وهذا المفتاح فى جيب عشيقى الآثم ... حدث أنى ... بت لا أستطيع احتمال تنفيذ هذه الجريمة الشنعاء ضد الشخص الكريم الملائكى الذى عاملنى ويعاملنى معاملة أم رءوم وأخت حنونة ...

ونهضت فى هذه اللحظة « مس إديث » بينما أخذت « إديل » تكلمها وتقول :

— ليس فىّ ما تخشينه على نفسك يا سيدتى .. ولكن ... جول ليس بوسعى أن أسلمه للشرط ... كلا لست مستطيعة ذلك أبداً ... وما عليك ياسيدتي لملاقاة هذا الخطر الذى سيحدث بعد دقائق إلا أن تقفلى الباب من الداخل ... حتى إذا أراد الدخول عليك تحتم عليه أن يدفع مصراعى الباب ... وحينئذ ... تتكلمين بصوت مرتفع مع نفسك فيفهم أنك لم تبارحى الغرفة هذا المساء ... فيغادر الفندق دون أن يحدث أمر فظيع ... أما فى حالة عدم خروجه فإنك تستطيعين النجاة إلى غرفة ثانية وهناك تطلبين النجدة والغوث ... ابق مكانك أنت ودعينى أنا أبادر إلى العمل ... وهنا يعقب كلامها عملها فأهرعت « ادبل » إلى باب البهو وأغلقته ثم أدارت المفتاح فى قفله مرتين ، ثم أسقطت عليه المزلاج الداخلى . وكذلك وبنفس العجلة عملت فى غرفة النوم ما عملته فى البهو ، ثم عادت إلى سيدتها الأميركية وكانت هذه قد سمرت بمكانها كالمشلولة أمام هذا المشهد المرعب السريع الصامت . وبينما كانت المرأتان منتصبتين الواحدة أمام الأخرى ، وقبل أن تستعيدا شيئاً من حقيقة الموقف المتأزم الفاجئ إذا بضجة تنبعث من البهو فتهز أدق عصب من أعصاب المرأتين ثم تبدو ذراع تدير زر باب البهو ولكن المقاومة غير المنتظرة التى وجدها « جول بليه » من القفل ، أدهشته وصعقته فأخذ يحرك الباب بشيء من الحذر ... صرخت « اديل » متوسلة ضارعة

كلة : لا ، لا ، ثم ألقت بهذا التصميم وجه الحائط ومضت لحظة فاذا بها تقول فى خفوت : ولكن ! إذا ! واستيقظ فيها من جديد قلب المرأة الشريفة « البورجوازية » فاذا بضميرها يبكتها من جديد ، وإذا بها تزفر وتقول : كم سيكون ذلك فظيعاً شنيعاً إن أنا لزمت جانب الصمت . ثم تقول بصوت مطمئن واضح :

— إن ما سأعمله هو جدُّ صائب وشريف ... وقامت لساعتها خافقة الجوانح مرتعدة مضطربة تقتحم غرفة سيدتها في سرعة كي لا تترك لنفسها وقتاً للتفكير وموازنة الآراء ... بهذا العزم والصورة نقرت على باب سيدتها . يا لله ! كم هو رائق حلو ذلك الصوت الذى انبعث إلى أذنيها من الغرفة قائلاً : أدخلى !

كانت مس « إديث » ما تزال مستلقية على كرسيها وبجانبها بقية من طعام كانت تتناوله . فحين رأت وصيفتها بهذا القلق والارتباك قالت لها بدهشة :

— أو قد عدت ثانية يا « إديل » ولكن ماذا حدث ؟

— حدث أنى خدعتك وغرَّرت بك ياسيدتى وإنى لست إلا وصيفة زائفة هى خليلة لص فاجر مجرم سيتهك حرمة منزلك بعد قليل . حدث أنى شريكته قد زورت مفتاحاً لاستلاب ما تحتوى علبة جواهرك ، وهذا المفتاح فى جيب عشيقى الآثم ... حدث أنى ... بت لا أستطيع احتمال تنفيذ هذه الجريمة الشنعاء ضد الشخص الكريم الملائكى الذى عاملنى ويعاملنى معاملة أم رءوم وأخت حنونة ...

ونهضت فى هذه اللحظة «مس إديث» بينما أخذت « إديل » تكلمها وتقول :

— ليس فىَّ ما تخشينه على نفسك ياسيدتى .. ولكن ... جول ليس بوسعى أن أسلمه للشرط ... كلا لست مستطيعة ذلك أبداً ... وما عليك ياسيدتي للافاة هذا الخطر الذى سيحدث بعد دقائق إلا أن تقفلى الباب من الداخل ... حتى إذا أراد الدخول عليك تحتم عليه أن يدفع مصراعى الباب ... وحينئذ ... تتكلمين بصوت مرتفع مع نفسك فيفهم أنك لم تبارحى الغرفة هذا المساء ... فيغادر الفندق دون أن يحدث أمر فظيع ... أما فى حالة عدم خروجه فإنك تستطيعين النجاة إلى غرفة ثانية وهناك تطلبين النجدة والغوث ... ابق مكانك أنت ودعينى أنا أبادر إلى العمل ... وهنا يعقب كلامها عملها فأهرعت « اديل » إلى باب البهو وأغلقته ثم أدارت المفتاح فى قفله مرتين ، ثم أسقطت عليه المزلاج الداخلى . وكذلك وبنفس العجلة عملت فى غرفة النوم ما عملته فى البهو ، ثم عادت إلى سيدتها الأميركية وكانت هذه قد سمرت بمكانها كالمشلولة أمام هذا المشهد المرعب السريع الصامت . وبينما كانت المرأتان منتصبتين الواحدة أمام الأخرى ، وقبل أن تستعيدا شيئاً من حقيقة الموقف المتأزم الفاجئ إذا بضجة تنبعث من البهو فتهز أدق عصب من أعصاب المرأتين ثم تبدو ذراع تدير زر باب البهو ولكن المقاومة غير المنتظرة التى وجدها « جول بليه » من القفل ، أدهشته وصعقته فأخذ يحرك الباب بشىء من الحذر . . . صرخت « اديل » متوسلة ضارعة

— تكلمى بحقك ياسيدتى ! فصاحت مس أديت بصوت هادئ لارعشة فيه ولا اضطراب

— ولكن من هناك ؟ ! ثم مشت بحأش رابط إلى مدخل البهو وهى تقول : إذا لم ترد على فسأنبه الخدم بدق الجرس ... قالت هذا وأرهفت أذنيها ، فإذا بها تسمع زفرة حبيسة انطلقت من صدر « جول » لهذه الخيبة والفشل الفاجئين ، ثم تجاسرت الأميركية فوضعت يدها على مقبض الباب وقد تهيأت لفتحه . ولكن فى هذه اللحظة سمعت خفق نعل « جول » يضمحل ذاهباً شيئاً فشيئاً ، ففهمت أن اللص يبتعد ويلوذ بالفرار . ثم تكلمت فقالت :

— لقد انطلق صاحبك يا « إديل » وسأدق الآن الجرس كى أشعر الخدم وأهل الفندق أن أحداً من اللصوص أراد دخول غرفتى على ، وبأنى فى حاجة إلى حارس أضمه فى البهو بقية الليل . ثم تناولت يد الصبية وقالت لها :

— أما أنت فأريد منك ألا تبرحينى كى تقصى على قصة حياتك لأنى أبغى معرفة كل شىء

* * *

فى صبيحة غد هذه الحادثة أفاقت « مس إديت » متأخرة عن موعد استيقاظها ، وكان الاعتراف الباكى الحزين الذى اعترفت به الوصيفة أمامها ، قد حرك أوتار قلبها النبيل فقالت لها فى حنان :

— لقد أنقذتنى من ذلك اللص صاحبك ، وأنا بدورى أريد استنقاذك منه واستخلاصك لنفسى ... لسوف ترافقينى إلى أمريكا ، ولسوف تغيرين اسمك ، وهناك تعيشين فى كنفى دون أن يستطيع لحاقك أبداً . فكان جواب « إديل » على هذه المكرمة والشهامة دموعا حرارا هنا وقُبل مخلصة حارة لقدم هذه الانسانة الملائكية التى تعرض عليها — وهى فى هوة سقوطها وتدهورها — السلام والحب والرعاية . وهل بعد هذا كرم ومروءة وحنان ؟ ولقد تم الاتفاق بين السيدة ووصيفتها على أن تلزم « إديل » الفندق حتى قدوم الوصيفة الألمانية ، حينئذ تسبق سيدتها إلى « ليفربول » حيث تنتظرها هناك للابحار إلى أميركا ...

ولكن كم كانت دهشة « مس إديت » عظيمة حين أفاقت فى اليوم الثانى وراحت تغمز عبثاً زر الكهرباء مستدعية « اديل » دون أن يرد عليها أحد .. أخيراً عزمت الأميركية على استدعاء وصيفة الطابق الآخر كى تستعلمها عن غياب « إديل » ولكن هذه جاءت لتخبرها أن « إديل » غير موجودة فى الغرفة وأن رسالة معنونة باسم الأميركية قد وجدتها على طاولة « إديل » رسالة ؟ كلا . إن هى إلا سطور مكتوبة بيد مرتعشة هذه هى :

« إغفرى لى يا سيدتى بحقك ... إنى لأشعر بعجزى عن فراق ... هذا الرجل الذى لن أستطيع العيش بدونه ... نعم لقد قنعت البارحة بمقترحك لأنك ملكت قلبى واستوليت على إرادتى بلطفك وكرمك ... أما الآن ... فأنا والهفتاه ، جدُّ أسيفة على حبه الذى سأحرم منه إلى الأبد إن لحقت بك . أرأيت ياسيدتى أنى لست من الطيبة والصلاح بحيث كنت تتصورين ... نعم لست طيبة ...

وسأكون ... على ما يحبه منى لا أنحرف عن رضاه ولا أسير إلا على إرادته ، لأن هذه قسمتى ... إني حين أحاول حياة أخرى بعيدة ... عنه ، أشعر بأن برودة الموت تجثم على صدرى وتمشى فى عروقى ... وداعاً ياسيدتى ... ياسيدتى الكريمة ، إنى أتوسل إليك أن تحزى أمتعتى فى طرد وتبقيه عبد البواب باسمى ... وأنا واثقة كل الثقة بأنك لن تحاولى إيقافى ولا تسليمى للعدالة حين آنى لآخذ الطرد... ولكن ... أواه كم أنا وقحة حتى أطلب هذا أيضاً. لكن وضعت ياسيدتى صورتك العزيزة المحبوبه بين... أمتعتى لتكونين هذه المرة ألطف إنسانة وأكرم امرأة عند خادمتك المقرة بجميلك وإحسانك إلى الأبد »

خادمتك : « إديل »

.... لقد فعلت « مس إديت » ما طلبته منها وصيفتها الآبقة ، على رغم أن بعض فقراء الفضائل يرون فيه خروجاً عن الطبع الانسانى اللئيم . نعم، ولم تكتف بالصورة وحدها ، بل وضعت بجانبها مظروفاً يحتوى على خمسة آلاف فرنك و كتبت فى ورقة فيه:

« من « مس إديت » الأميركية إلى وصيفتها الأمينة « إديل » ذكرى محبتها وإخلاصها فى خدمتى سنتين . وكان فى آخر الرسالة هذا القول المعروف : أما وقد شئت فراقى يابنية فاستعينى بهذه الصبابة من المال على العيش مع صاحبك بشرف وحلال »

« إديت »

كمال الحريرى

الملابس القطنية الخفيفة

هى

ملابس الصيف القائظ

تشكيلات جميلة رائعة . ومنسوجات مختلفة مغرية

وألوان ساحرة أخاذة

تقدمها اليكم

شركة مصر للغزل والنسج

إحدى مؤسسات بنك مصر